الانحراف الفكري عند الشباب .. نظرة تأصيلية قرآنية

د. فاتح حسني عبدالكريم [1]

ملخص البحث

بيَن الباحث دور القرآن المحوري في تشكيل الوعي الكامل للإنسانية عامة، وللمسلمين خاصة، وكيف أنّ القرآن الكريم قد شكّل حصانةً فكرية منيعةً، لمن أقبل عليه وأولاه اهتماماً، وأنّ من أدار ظهره له، واستغنى عنه فلا يلومنّ إلا نفسه؛ وليبشر بأربع عاديات تفت من عضده وتشل من تحركه: إن على مستواه الفردي أو المجتمعي: وهذه العاديات هي: ضلال وتيه وشقاء وخوف.

وذكر الباحث تأصيل القرآن لمشكلات العصر عامة، ومشكلة الشباب خاصة، والانحراف الفكريّ عندهم بشكل أخصّ؛ وكيف أنّ هذا الانحراف قد أرهق الأسرة المسلمة، وأعاق تقدمها واستقرارها وقوّض بناءها وهيكلها، وأخّر وثبط التنمية والتقدم في المجتمعات والمؤسسات، بل أدّى إلى النكوص والانتكاس، فبيّن الباحث أصول وأسباب الانحراف الفكري لدى الشباب مؤصلةً بالدليل القرآني، وما أسبابه الداخلية والخارجية؛ مما يحمّلنا جزءاً كبيراً من المسؤولية.

وبيّن الباحث- وبشكل عام- كيف كانت مداخل علاجات القرآن لهذه المشكلات ، وكيف شخّصها القرآن بدقة وبين علاجها بشكل أدق.

ويوصي الباحث بأن تستمر الأبحاث القرآنية المتناولة لمشكلات الشباب والمجتمعات في شتى مجالات الحياة؛ حتى يتبين منها خلاصنا، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

كلمات مفتاحية:

الانحراف الفكري / الشباب / تأصيل قرآني / أسباب الانحراف.

١- أستاذ مشارك في التفسير وعلوم القرآن – جامعة المجمعة- كلية التربية بالزلفي- قسم الدراسات الإسلامية.

مقدمة

قد كفانا القرآن الكريم مؤونة العناء والتيه؛ بأن وضع لنا معالم الطريق الصحيح؛ فإذا أحسنا التعامل مع القرآن الكريم أمدنا بما فيه سعادتنا وهّناءنا؛ فقد فصل الله لنا ما ينفعنا وبيّن ما يرشدنا؛ ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

ولا يتضح هذا البيان وهذا التفصيل إلا لمن تلاه تلاوة تدبر، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة ص: ٨٩]، فيه علاج لأمراضنا الاجتماعية والعقلية والحياتية؛ فيه مصالح العباد منثورة، وحوى هناء معاشهم دنيا وآخرة، فيه قواعد وأصول حياة الإنسان؛ من حيث كونه إنساناً، وحياته من حيث كونه مؤمناً عاملاً بما فيه. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ٣٧].

ومن هنا فقد شخّص القرآن إحدى مشكلات الناس عامة، والشباب بشكل خاص، وهي مشكلة الانحراف والتطرف، وكيف أنّ هذه المشكلات قد أصّل لها القرآن وبيّن معالمها، وحدد أخطارها، وعيّن شفاءها، وقد حاول الباحث أن يستعرض- بما توصل له اجتهاده- بعض هذه التأصيلات، وبيان تلك المشكلات، وكيف كان ترياق القرآن لها.

ولا يدّعي الباحث الإحاطة الكاملة بالموضوع ؛ فالهدف من الكتابة كان إضاءة شمعة في ظلام حالك، التف حول هذه الفئة المهمة من مجتمعنا، عسى أن تكتمل هذه الدراسة برسالة علمية، تتناول هذا الوباء وآفاته وكيفية التعافي منه.

وقد سلك الباحث المنهج الاستقرائي- حسب المَكنة- في مشكلة الفكر وانحرافه؛ بتتبع كيفية عرض هذه المشكلات في القرآن والقصة القرآنية، والمنهج الوصفي التحليلي؛ بالربط والتفسير واستخلاص النتائج.

أولاً: مشكلة البحث:

يحاول البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية: ما أهم المشكلات التي يواجهها الشباب فتدفعهم إلى الانحراف والتطرف ؟ ما الأسباب التي قد تؤدي للانحراف ؟ كيف عرض القرآن لهذه المشكلات؟ وما المداخل العلاجية لمشكلة الانحراف؟

ثانياً: أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في استحضار وتشخيص أسباب الانحراف عند الشباب، وما الوصف الملائم والعلاج المناسب والدواء الناجع للصّعوبات والشّرور التي تواجه الشباب.

ثالثاً: أهداف البحث:

يهدف البحث إلى كشف وبيان هدي القرآن في بيان المشكلات التي قد تواجه المسلم، والشباب بشكل خاص، وما العوامل التي قد تدفع بالشباب للانحراف والتطرف، وكيف عرض القرآن لعلاجها والقضاء على أسبابها.

رابعاً: حدود البحث:

لم يتوسع الباحث في بيان أنواع الانحراف ، بل كانت حدود الدراسة في الانحراف الفكري الموصل لإرهاب المجتمع، فلم يتعرض الباحث للانحرافات الجنسية والخلقية وغيرها، ولم يستطرد الباحث في علاجات ثانوية فرعية لهذا الانحراف، بل شدد الباحث لأسّ العلاجات ومداخلها بنظرة قرآنية، ولا ينكر ولا يستبعد ألبتة باقي العلاجات ونجاعتها.

خامساً: الدراسات السابقة:

هذا الموضوع قد تبارى فيه العلماء والكتاب والمدونون، وكتبت فيه الكتب ونوقشت رسائل جامعية وامتلأ به أعمدة المجلات والدوريات، لكنها جميعاً- في حدود دراستي- لم تكن دراسة تأصيلية قرآنية، بل كانت مكتبية أمنية اجتماعية ، وحتى من كتب عن نظرة الشريعة الإسلامية للانحراف، فقد

كانت دراسته عامة غير تأصيلية، وممن كتب في الموضوع:

١- هشام عبد المحسن سعيد في رسالة ماجستير بعنوان: أساليب حماية النشئ من الانحراف في المنهج الإسلامي، ١٤٠٩، قدمت للمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، ولم تطبع بعد، وهي دراسة جيدة أصلت للمفهوم الإسلامي في حماية النشأ ودور الأسرة والقدوة في التربية.

٢- عبد الله هلال الحربي، في رسالة ماجستير بعنوان: الجانب الوقائي في الحد من الجريمة، ١٤٠٩، قدمت للمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، ولم تطبع بعد، وعملها يقتصر على الجريمة بشكل عام دراسة فقهية. ومثلها دراسة للطالب علي سلطان الكواري، بنفس الأهداف ولكن من ناحية أمنية بحتة.

٣- عبد الرحمن بن معلا اللويحق، رسالة دكتوراة من جامعة الإمام محمد بن سعود، عام ١٤٢٠هـ، طبعتها مؤسسة الرسالة ط٢، وهي دراسة جادة وهادفة، ولكنها – لكونها رسالة علمية رفيعة- فقد توسع فيها لتستحيل مرجعاً لهذه الدراسات؛ ولكنها لم تؤصل لكل سبب وعلاج من نظرة قرآنية بحتة؛ بل كانت نظرتها شرعية شاملة .

سادساً: خطة البحث:

جاءت الدراسة في تمهيد ومبحثين وأربعة مطالب وفق الآتي:

المبحث الأول: **أسباب الانحراف الفكري كما تصوره القصة القرآنية:**

المطلب الأول: أسباب داخلية

المطلب الثاني: أسباب خارجية

المبحث الثاني: **أغراض القصة القرآنية وأثرها في الحماية الفكرية:**

المطلب الأول: إحياء وظيفة الروح / تثبيت دعائم الإيمان:

المطلب الثاني: إحياء وظيفة العقل

الخاتمة.

تمهيـــــد

حين اقتضت إرادة الله عز وجل أن يكون الإنسان محل الاستخلاف في الأرض، وضع الله فيه قابلية المحبة للخير؛ بفطرة نقية، تتوجه للخير والصلاح والاستقامة، قال الله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]، وزوَده بعد خروجه من الجنة بمدد؛ يكسبه قوة الثبات وتماسك الاستقامة؛ فآتاه الهدى نوراً يستضيء به، ويمنعه من الزلل والانحراف، قال الله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨] ، وقال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣] ، إنّ اتباع الهدى عصمة من أربعة أمور: ضلال وشقاء وخوف وحزن، فهل تتعدى أمراض البشرية هذه الأربعة؟ يعني تيه وانحراف يتبعه شقاء وعناء ويلحقه الخوف (الفوبيا) والحزن (الاكتئاب).

وزاد جاهزيته وأهليته للاستخلاف والثبات؛ بأن وهبه عقلاً يعصمه ويضبط سلوكه ويوازن بين أولوياته، لذلك كان من أسماء العقل: النهى، قال الله عز وجل: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ [طه: ١٢٨]، " النُّهى: اسم جمع نُهية، أي: العقل، وقد سُمي بذلك لأنه ينهى عن القبائح، قال الإمام البروسوي: " .. سُمّي بها العقل لنهيه عن اتباع الباطل وارتكاب القبيح، كما سُمّي بالعقل والحجر، لعقله وحجره عن ذلك لذوي العقول الناهية عن الأباطيل التي من جملتها ما تدّعيه الطاغية، وتقبله منهم الفئة الباغية. وتخصيص أولى النُّهى مع أنها آيات للعالمين باعتبار أنهم المنتفعون بها"[1].

(١) تفسير روح البيان ٤٧٢/٥ . وانظر: الجامع لأحكام القرآن ٢١٠/١١، أنوار التنزيل وأسرار التنزيل، ٣٠/٤، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٤٨/٤، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ٥٢٠/٨، التحرير والتنوير، ١٣٤/١٦ .

لكن مع كل هذه الأنوار ظهرت لنا أفكار وممارسات حادت عن الصراط، وزاغت عن الهدى، وانحرفت عن السبيل.

أولاً: معنى الانحراف:

الانحراف في اللغة: الميل عن الشيء والعدول عنه، ومادته الحاء والراء والفاء، قال ابن فارس: حرف... ثلاثة أصول: حد الشيء، والعدول، وتقدير الشيء... والأصل الثاني: الانحراف عن الشيء، يقال: انحرف عنه ينحرف انحرافاً، وحرفته أنا عنه، أي عدلت به عنه... وذلك كتحريف الكلام، وهو عدله عن جهته، قال الله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ١٣][(١)].

والانحراف في الاصطلاح: هو "عدول الأفكار أو المفاهيم أو المدركات عن ما هو متفق عليه، من معايير وقيم ومعتقدات سائدة في المجتمع"[(٢)]. فالانحراف هو الميل والانحناء عن مسار مرتضى، وطريق متوافق عليه، كمثل الحافلة، حين تميل عن الطريق وتنحرف، وهو ميل وانحناء الشخص عن اتجاهات وطرق المجتمع المسلم، التي تواطأ عليها، فإن كان الميل والانحراف عن الحق صار بلغة القرآن الزلل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، أو الفسق: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩]، أو الشطط: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤].

ثانياً: منشأ الانحراف:

خلق الله الإنسان، وأكرمه بالعقل والفطرة، ومنحه نفحته الروحية، وأتمّ نعمته عليه بكلامه وآياته، لكن في المقابل: وضع الله فيه نوازع الشهوة، وقد أكرم الله الإنسان بأن ترك له حرية الاختيار، وألهمه في طبيعته النفسية والبشرية القابلية للالتزام، والقابلية للانحراف، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا • فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ٢/ ٤٢.

(٢) د محمد الدغيم، الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، الكويت: الأمانة العامة، ٢٠٠٥م، ص ١٧.

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا • فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا • قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا • وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [الشمس: ٧-١٠] .

ومن أنواع الانحراف التي ابتليت به مجمعاتنا: الانحراف في الفكر عند الشباب، وما نتج عنه من تطرف وإرهاب باسم الدين، ولذلك اتجهت إرادة الله في كتابه الكريم للاهتمام الكبير بفكر الإنسان وتصوراته. وقد وفّرت الآيات القرآنية مساحات شاسعة وبأساليب متعددة للارتقاء بالفكر والتصور، وتصحيح العقيدة وتقويم السلوك، فرسّخ القرآن قوة الفكر ونباهته؛ لما له من قوة في توجه القلب والأركان.

ولكن: وقع بعض الشباب في أهواء النفوس وحبائل إبليس، فزاغوا وانحرفوا في أفكارهم، ومن بعدها كان الانحراف في سلوكهم؛ ورجعت نتائج سموم أفكارهم ويلات على مجتمعاتهم وأسرهم.

ثالثاً: يحاول الباحث دراسةً هذه الأسباب من وجهة قرآنية تأصيلية، وكيف بيّن القرآن هذه الأسباب وأصّل لها، وما هي أهم المداخل العلاجية وأكبرها:

المبحث الأول

أسباب الانحراف الفكري كما تصوره القصة القرآنية

يمكن تقسيم أسباب الانحراف الفكري عند الشباب إلى قسمين أساسيين:

المطلب الأول

أسباب نفسية داخلية

جعل القرآن للنفس مكانةً عظمى ومنزلة كبرى؛ فجعل صلاحها مرهوناً بعافيتها والعكس صحيح؛ فإن أخذت النفس حظها من الاستقرار والتهيئة والرعاية والتعهد والحفظ آتت ثمرة وجودها وغاية إيجادها، وإن دُست وضلت ونُسيت، خاب مآلها وشقي حالها وكان الندم قرينها؛ لذلك احتفل القرآن بها، وأولاها عنايته، وحث صاحبها على تزكيتها، وحذره من تدسيتها وانحطاطها.

وثمة أمراض لا ينبغي بحال أن يكون لها مدخل إلى النفس مهما كلف الأمر؛ فهي آفات إن استحكمت في النفس واستحوذت عليها أعقبت حزناً وأسىً وندم، ولات ساعة مندم:

أولاً: الجهل:

وهو أسّ الانحراف وغذاؤه؛ ذلك أنّ العلم الصحيح يحمي صاحبه ومَن حوله، والجهل نار تحرق الجميع، وقد كانت باكورة الوحي ومطلع نوره: ﴿اقْرَأْ﴾ [العلق: ١]، ولم يقل: فكّر! بل اقرأ؛ لأنك إذا فكرت بمعزل عن العلم والقراءة أفسدت عقلك وانتهيت لدائرة اللاّعلم، وهو الفراغ، وبالتالي وهمُ العلم، ووهم الحق واحتكاره، واحتقار غيره.

وأعني بالجهل معناه الواسع؛ من عدم المعلومة، وتحكم القوة وغلبتها على الضعيف قال الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

ومن هنا نتج عندنا صنف يعلم: رفع القرآن من قدره فقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]، وصنف لا يعلم: حضه القرآن على العلم، وصنف جاهل يدعي الحق معه ولا يملك سوى وهم وأمنيات قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩]: فالجهل سبب إعراض المعرضين عن دعوة الأنبياء والمرسلين قال الله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود: ٢٩]، والجهل دافع لعمل الجرائم قال الله: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥].

وفي نهاية المطاف فالجهل يوصل إلى الشرك قال الله عز وجل: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وما كانَ ذاك إلا بتصدر جهلاء صغار؛

يدرّسون ويعلّمون من هو أجهل منهم، قال رسول الله ﷺ: " إن من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر "(١).

وصور الجهل كثيرة: منها عدم العمل بالعلم، ومنها عدم فهم الدليل، أو وضعه في غير موضعه، ومن صور الجهل أيضاً الإنكار في مسائل لا ينكر فيها، وأشد صور الجهل هو فعل الشيء بعكس المراد، وفهمه على خلاف أصل وجوده قال الله : ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩] : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]، والجهل مرض خطير على النفس وعلى المجتمع .

ومن يكون عالما يكون متواضعاً، فمهما حصل من العلوم فسيبقى طوال عمره يستزيد، قال الله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، أي هناك من هو أعلم منك، فلا يغرنّك بالله الغرور وتظنّ بأن لديك شيئاً؛ وما قصة موسى عليه السلام ببعيدة عنا، ففي سورة الكهف درس بالغ الأهمية لكل من يتصدر مجلساً، ويدعي فيه علماً؛ فإن سيدنا موسى رغم علمه- وهو نبي مرسل - فقد قال للعبد الصالح بكلّ تواضع قال الله تعالى : ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦]، " نبيٌّ، وله مكانته عند الله، جاء إلى عبد من عباد اللهِ بتواضع ؛ ليصبح تلميذاً " أتبعك " ولم يذكر القرآن الكريم اسمه، بل اكتفى بتعريفه لنا بأنه عبد من عباد الرحمن؛ ولكن من جملة الذين اجتباهم الله من عباده قال الله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥](٢).

(١) صححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" ٢ / ٣١٦ وقال: أخرجه ابن المبارك في " الزهد " (٦١) وعنه أبو عمرو الداني في " الفتن " (٦٢ / ٢) و اللالكائي في " شرح أصول السنة " (٢٣٠ / ١ – كواكب ٥٧٦ وكذا الطبراني في " الكبير " وعنه الحافظ عبد الغني المقدسي في " العلم " (ق ١٦ / ٢) .

(٢) البتول التركي، مرض العصر، الجهل المركب، جريدة البلاد، العدد ٢٢١١٣ ٤ ربيع الأول ١٤٣٩ هـ .

ثانياً: التمسك بالأفكار القديمة (التقليد الأعمى):

وهذه الآفة الخطيرة؛ قد جمّدت الوعي، وشلت التفكير؛ فترى حماساً للماضي وميراث الأجداد! وفتوراً ونكوصاً عن كل إبداع وتجديد! ولو كان هذا التجديد منضبطاً بقواعد الدين والمنهج السليم؛ وما ذلك إلا لاتّباع هوى النفس، بتمسكها بكل مألوف ودارج ومعتاد قال الله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠]، لذلك كانت عبادة المجاهدة من أعظم العبادات؛ وهي مجافاة النفس، وتضييق خياراتها، لتتوجه وفق الاختيار القرآني قال الله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، "إنّ آفة المجتمعات في كل زمان ومكان هي التقليد البليد المستحكم، الذي يشلّ عقول الناس، ويستبقيها مغتبطة بملازمة ما وجدت نفسها فيه، وعاجزة عن إدراك ضرورة مبارحة ما هو كائن الى ما يجب أن يكون، إنّ التقليد الأعمى يغتال قابليات الأفراد، فيجعلهم غافلين عن سخافات المألوف، وعاجزين عن اكتشاف جموع الواقع، وغير مدركين بأنّ أصالتهم الفردية مطمورة بالبرمجة الثقافية والاجتماعية، فالفراغ الذي يكون عليه الأفراد عند ولادتهم يجعلهم مهيئين للامتلاء بما هو كائن في البيئة الثقافية والاجتماعية، مهما كان سوء هذا الذي هو كائن؛ فالأفراد صياغة اجتماعية.."[1].

وقد كانت المسوغات التي روّجها فرعون وقومه لصد لموسى عليه السلام هو إلف الآباء قال الله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٧٨]، وكذلك كان صد قوم إبراهيم له لذات السبب قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ • إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ • قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ • قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأنبياء: ٥١-٥٤]، وما كان شيء أشدّ على الأنبياء من هذا الحائط القوي المنيع؛ فهو خط دفاعهم الأول

(١) إبراهيم البليهي، التقليد الأعمى للآباء يلغي عقول الأجيال، الأحد ١٦ صفر ١٤٣٩هـ.

والأخير في مواجهة الدعوة الجديدة، وقد نبذ المولى عز وجل بني إسرائيل في الصحراء أربعين سنة ليبعدهم عن أي مؤثر خارجي؛ ينشغل موسى بتربيتهم وتهذيبهم وتنقيتهم من تقليد الآباء وما ورثوه عنهم من شرك وكفر، ولكن العبودية المأثورة تفاقمت عندهم، وهذه النبتة الجديدة لم تثمر بالحرية؛ إنه الداء العضال : ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ [سورة ص: ٧]

وانظر كيف مدح الله من قهر ماضيه الضالّ واهتدى بنور الله، فجعل الله عقل هذا المهتدي كاملاً راقياً فقال الله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ • الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٧-١٨]، فلا يُعيرون الملهيات عن الحق اهتماماً، وما أكثرها حولنا! وانظر كيف جعل الله مآل من دخل في أَسْر التقليد والعمى، قال الله: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ • إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ • فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ • وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات: ٦٨-٧١].

ثالثاً: التعصب والتحجر:

وهو عدم قبول الحق، ورفضه ومحاربته، مع ظهور دليله وقوة بيانه وحجته، قال ابن منظور: "التعصب: من العصبية، وهي أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته والتألب معهم على من يناوئهم، ظالمين كانوا أو مظلومين... والعصبة: الأقارب من جهة الأب؛ لأنهم يعصبونه ويعتصب بهم، أي يحيطون به ويشتد بهم"(١).

والتعَصب في أصل الاستخدام خيوط عصبية وعضلية، تربط بين العظام والعضلات، قال الزبيدي: " والأَعْصَابُ : (أَطْنَابُ المَفَاصِل) التي تُلَائِمُ بَينها وتَشُدُّها، وليس بالعَقَب، يَكُونُ ذلكَ للإِنْسَان وغَيْرِه"(٢) ثمّ استُعملت على الارتباط الشديد الفكري والعملي، المَستحيل إلى التلاطم والتبعية الحمقاء للمشدود إليه، ومنها إلى النزاع والاختلاف، وحتى القتال

(١) ابن منظور لسان العرب، محمد بن مكرم ، عصب، ٦٠٢/١.

(٢) محمّد الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، عصب، ٣٧٥/٣.

قال الله: ﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ • وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٩٥-٩٦]، ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ • يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٧-٩٨]، "أَمْرَ فِرْعَوْنَ" أي: مسلكه ومنهجه وطريقته في الغي والضلال"وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ" أي: ليس فيه رشد ولا هدى، وإنما هو جهل وضلال، وكفر وعناد"(١) وهو مرض فِكْريٍّ يعيشه المريض؛ متوهماً الاستعلاء والتفوق على غيره، وبالتالي فهو يحتكر الحقيقة، قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [سورة ص: ٦]، وقال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [النمل: ١٣]، " فلما جاءت فرعون آياتنا، يعني: أدلتنا وحججنا، على حقيقة ما دعاهم إليه موسى وصحته، وهي الآيات التسع ... وقوله: مُبْصِرَةً يقول: يبصر بها من نظر إليها ورآها حقيقة ما دلت عليه"(٢).

وقد تسبب هذا الكبر الصدّ لشعيب عليه السلام من قبل: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١]، و ما ذلك إلا لكرههم واستحقارهم لغيرهم، وغرورهم بذواتهم وتضخم مفهوم الأنا عندهم، كما رأينا من فرعون حين رفض الحق وقال: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، ومن ذلك أيضاً جهلهم وضيق الأفق المعرفي عندهم كما سبق بيانه، ومن أسبابه مرض الالتفات للذات، لا الحقيقة، وتقديس الشخوص على حساب المعرفة والحق: كما قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣٤٨/٤.
(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ٤٥٣/١٩.

مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، فأعطوهم العصمة، وألّهوا أقوالهم.

رابعاً: اليأس والإحباط:

وهو من أصعب المشكلات المؤثرة في النفس والمؤدية للانحراف؛ فهو بريد الفشل إلى النفس ووهن العزيمة، ومن يستسلم لهذه المشاعر السوداء قد تتوقف عقارب الزمن عنده ويشعر بالوحدة والسلبية؛ فإما أن يؤذي نفسه أو يعممّ شره لغيره.

وتروي لنا آيات القرآن عامة، والقصص خاصة، كيف أنّ الأنبياء تعرضوا للكثير من مواقف الإحباط، فما يئسوا من رحمة الله تعالى، بل زادت ثقتهم بالله وبأنفسهم وبإمكاناتهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وخير من تجاوز محن الإحباط سيدنا محمد ﷺ مع قريش والعرب، وها هو نوح عليه السلام، جاهد تعنت قومه ولبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم ويذكرهم بالله، وما آمن معه إلا قليل! وتذكّر قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل، وقصة يوسف عليه السلام مع إخوته، وصالح عليه السلام مع قومه... لتأخذ العبرة في قوة التحمل: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

وانظر إلى نداء الرحمة المفعم بالحنان والرقة؛ نداء الخالق العالم بمن خلق، نداء الشفقة والود والرأفة، نداء لكل من زلّت قدمه، بل لكل من ضلّت مسيرته: لا إحباط ولا فشل، وابدأ من جديد: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ • وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣-٥٤]، "التسمية بـ"يا عبادي" مَدْحٌ، والوصفُ بأنهم" أسرفوا " ذَمٌ. فلمَّا قال"يا عبادي" طمع المطيعون في أن يكونوا هم المقصودين بالآية، فرفعوا رؤوسَهم، ونكّسَ

العُصَاةُ رؤوسَهم وقالوا: مَنْ نحن؟ حتى يقول لنا هذا؟! فقال تعالى: "الَّذينَ أَسْرَفُوا" فانقلب الحالُ؛ فهؤلاء الذين نكَّسوا رؤوسهم انتعشوا وزالَت ذلتهم، والذين رفعوا رؤوسَهم أطرقوا وزالت صَوْلَتُهم. ثم أزال الأعجوبةَ عن القسمة بما قَوّى رجاءَهم بقوله: "على أنفسهم" يعني: إنْ أَسْرَفْتَ فعلى نَفْسكَ أسرفت "لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ" بعد ما قطعْتَ اختلافَك إلى بابنا فلا ترفَعْ قلبك عَنَّا "إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا" الألف واللام في "الذنوب" للاستغراق والعموم، والذنوب جمع ذنب، وجاءت "جميعاً" للتأكيد؛ فكأنه قال: أَغْفِرُ ولا أترك، أعفوا ولا أُبْقِي، ويقال: إنْ كانت لكم جِناية كثيرة عميمة، فلي بشأنكم عناية قديمة"[1].

فلا ينبغي للمسلم الحق الاستسلام لهذه الموجات السلبية المحيطة به، بل العمل والمجاهدة والصبر والتوكل، بيّن الله تعالى بعدها مدار التوجه الصحيح، وعدّل الانحراف وعيّن الجهة، فقال الله: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٥]، فبدأ الله بالأمر الإيجابي الفعال، ونهى عن الانتكاس ووضع اليد على الخد، لتعصف بك الهموم والمشاعر السامة، فقال" وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ" ثم نبهنا إلى مآلات الاستسلام للفشل والإحباط، والاستسلام للسلبية والكسل، والتهور والانتكاس، فقال الله: " مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ" ثم بيّن الله عز وجلّ نتيجة مخيفة من مَغَبَّة الانحراف؛ فملأ الصدور رعباً من عاقبة الخُروج عن جادَّة الصَّواب، فقال تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ • أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ • أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ • بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ • وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٥٦-٦٠]، "ما أكثر الأحداث

(١) تفسير القشيري، ٤٩/٧.

والمشكلات التي تعصف بإنسان اليوم، فتجد أنواعاً من الإحباط، تتسرَّب إليه نتيجة عدم تحقُّق ما يطمح إليه، فالإحباط هو حالة يمر بها الإنسان عندما يفشل في تحقيق عمل ما، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥][١]، "لهذا تستخدم الجماعات المتطرفة أسلوب الإغراء بالمال؛ لتشجيع بعض الشباب الفقراء للانضمام إليها"[٢] لشعوره بالإحباط، فضلًا عن كراهيته للمجتمع الذي ينتمي إليه، كلها أمور تدفعه للانضمام إلى جماعات متشددة متطرفة يرى فيها ذاته[٣].

خامساً: التعميم والتسرع في الأحكام:

من أبجديات الاتصال الإنساني أن نتجنب تصنيف الناس والمتحدثين، ومن ثم نعْتُهم بنعوت لا يرضونها، ومن ثم تأتي مرحلة ما بعد التصنيف، وهو الحكم عليهم، ويا سوء عاقبة من حُكم عليه من جاهل متسرع، لا يحسن التصرف ولا الاستماع ولا الحكم الرشيد، فكم من كلمة اقتُطعت أو فهمت خطئاً أودت بصاحبها المهالك، وهو لا يعني ما فهمها مُهلكه، بل سيطرت على الأخير هواجس ما عناها القائل، بل لم يسمح لتسرعه أن يحيط بكلامه بكل معطياته[٤] فتنشأ بعد ذلك النزعة الى العداء والانحراف: فيوصل فكره عن طريق الانحراف والصدام والقتل؛ فقد أثبت الدراسات السيكولوجية أنّ المتطرفين يتميزون في الغالب بسوء الظن تجاه الآخر، وإباحة القتل، والتمرد على الشعوب الكافرة- على حد قوله- والأخطر من ذلك أنَّ المتطرفين يتّسمون بشدة الانفعال والاندفاع والعدوان والعنف والغضب عند أقل استثارة؛ فالكراهية مطلقة وعنيفة للمخالف أو المعارض في الرأي، والحب

(١) رحيل بهيج، الاضطرابات النفسية وعلاجها في القرآن الكريم، ٢٠١٣/٢/١١، شبكة الألوكة.

(٢) أحمد حسانين، دور التربية في علاج مشكلة التطرف بين الشباب، ٣٥٢مجلة كلية التربية، جامعة أسيوط، العدد الثامن، ١٩٩٢، المجلد الأول.

(٣) انظر حسن علام، المثقفون والإرهاب، الهيئة العامة للكتاب، ٥٤ ، القاهرة، ٢٠٠٢، وعاطف عجوة، البطالة في العالم العربي وعلاقتها بالجريمة، الرياض، ٤٢المركز العربي للدراسات الأمنية ، ١٩٨٦.

(٤) سناء محمد سليمان، ارجع بذلك لكتاب سيكولوجية الاتصال الإنساني و مهاراته، المنهل، . ٢٠١٤.

الذي يصل إلى حد التقديس والطاعة العمياء لرموز هذا الرأي؛ خاصة في فئات الشباب.. فلا يؤمنون بالحوار مع الآخر"[1].

وقد جمع القرآن كثيراً من آياته لتعزيز قاعدة خلق العدل ونبذ البغي وتحقيق الإنصاف وعدم بخس الناس حقوقهم، فقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]، ما أعجب كلام الله حين أمر بالإنصاف لعدوك، وألا يحملك بغضه على غمط حقه، فكيف بأخيك المسلم؟ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " فنهى أن يحمل المؤمنين بغضهم للكفار على ألا يعدلوا عليهم، فكيف إذا كان البغض لفاسق أو مبتدع متأول من أهل الإيمان؛ فهو أولى أن يجب عليه ألا يحمله ذلك على ألا يعدل على مؤمن، وإن كان ظالماً له"[2].

ومما امتاز به هذا الدين عظمةً ورقياً أنه لم يغمط أحداً حقه، ولم يعدم لأحد فضلاً ولو كان يسيراً؛ فقرر القرآن مبدأ يسير عليه أهل الحق ففي مقام المؤمنين ذكر الله سبحانه أنهم ليسوا في درجة واحدة في وفائهم وثباتهم، وحبهم للشهادة، قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]، ومع أهل الكتاب يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥]، فالآية الكريمة قسّمت أهل الكتاب من حيث أداء الأمانة إلى قسمين: أصحاب أمانة، وأصحاب خيانة... وهذا معناه "أَنَّ فِيهِمْ مَنْ هُوَ فِي غَايَةِ الْأَمَانَةِ، حَتَّى لَوِ ائْتُمِنَ عَلَى الْأَمْوَالِ الْكَثِيرَةِ أَدَّى الْأَمَانَةَ فِيهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي غَايَةِ الْخِيَانَةِ حَتَّى لَوِ ائْتُمِنَ عَلَى الشَّيْءِ الْقَلِيلِ، فَإِنَّهُ يُجَوِّزُ فِيهِ الْخِيَانَةَ"[3]. وبين الغايتين مراتب علمها عند الله.

(١) محمود بيومي، ظاهرة التطرف: الأسباب والعلاج، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٦، ٧٦.

(٢) ابن تيمية، الاستقامة، ١/ ٣٨.

(٣) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ٨/ ٨٩.

المطلب الثاني
أسباب خارجية

أولاً: انعدام المرجعية وغياب المعلومة الصحيحة:

حرص القرآن الكريم من بداية نوره وهديه أن لا يترك أتباعه هملاً، تتصرف بهم الأهواء وتجرفهم الشبهات؛ فحدد القرآن معالم الطريق المستقيم بمرجعية واضحة وبقدوات مُتمِّين، فقال الله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ • صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧]، المرجعية الواضحة، والطريق البيّن؛ من حاد عن الصراط ضلّ وانحرف.

وهو خلاف ما كان يحرص عليه فرعون مع قومه ومع بني إسرائيل؛ بأن يعدم أيَّ مرجعية ثقافية تخالف مرجعيته وثقافته: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، فمهما سمعنا من قصص ومهما أتانا من كلام فقد أخبرنا الله أنه يقص علينا أحسن القصص؛ حتى لا تغتر بأي مرجعية غير مرجعية القرآن، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٣]، وقال تعالى في مقدمة قصّة يوسف عليه السلام: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣]، وقوله تعالى بعد قصة نوح عليه السلام: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]. وهي ذات الوصية التي أوصاها يوسف عليه السلام للفتيين في السجن: ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، وفي سورة الأنبياء- بعد ذكر قصص عدد من الأنبياء- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ • وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٢-٩٣]، فالمفاهيم لا تحددها إلا المرجعية المنتجة لها، وإلا استحالت هذه المفاهيم إلى هلامية ضبابية، أو كما سماها د. عبد الوهاب المسيري: " السيولة " فتحتمل لكل معنى وكل فكرة وكل انحراف. يقول رحمه الله: " القيم التي تتغير باستمرار ليست بقيم؛ لأن القيم

الإنسانية والأخلاقية لا بد أن تتسم بقدر عال من الثبات، وإن تغيرت لم تصبح قيماً بقدر ما تصبح آليات للتعامل مع ما ينشأ في الواقع، وهذه هي إشكالية الحداثة في الإطار المادي، لكونها سقطت في النسبية، لذا لم يعد لها مرجعية، وأصيبت بحالة من السيولة الفلسفية، نزعت عن الإنسان إنسانيته، وسيطرت بدلاً عنه وسائل الإعلام والاحتكارات الرأسمالية"[1].

ومن جملة ما أثنى به الله على أصحاب الكهف، ذلك الوعي الخطير لهذه المعضلة الكبيرة، قال الله تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٥]، أما موقفهم الثابت: ﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤]، وحسم الله هذه القضية بتحديد المرجعية الشاملة للمسلم فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

ثانياً: سوء التنشئة الاجتماعية:

فسلامة المجتمع وتماسك بنيانه وازدهاره مرتهن بصحة أفراده النفسية والاجتماعية، والمجتمع الحيّ هو الذي يضع الفرد وتقدمه في أول سلم أولوياته، بلا إهمال لباقي الأولويات.

لذلك أخذت التنشئة الاجتماعية اهتماماً واسعاً في الدراسات والاستراتيجيات؛ لما تشكله من تأثير إيجابيٍّ أو سلبي في الفرد والمجتمع، فهي نتيجة تفاعل الفرد مع الخصائص الأساسية للمجتمع المعيش، وتتسم بالاستمرارية والتأثر العام.

وبدا اهتمام القرآن بالطفل وتنشئته واضحاً؛ قال الله عز وجلّ: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]، فالإنسان كائن اجتماعي، يتأثر بالبيئة المحيطة، وحتماً سيتأثر ببيئة مختلفة عن بيئة الوالدين وحدهما؛ فيحتاج بذلك إلى وقاية ورعاية قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

(١) جريدة الشرق الأوسط، الجمعة ١٣ محرم ١٤٢٥ هـ ٥ مارس ٢٠٠٤ العدد ٩٢٢٩.

الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، قال السعدي: "ووقاية الأهل والأولاد بتأديبهم وتربيتهم، وإجبارهم على أمر الله"(١).

فهذه البيئة - بصورة عامة - بهذا المعنى هي الحاضنة والمربية للأفكار والتصورات والسلوكيات إلاّ ما شاء الله تعالى، وبالمقابل فإنّ تغيير البيئة والمكان سلباً أو إيجاباً ، خيراً أو شراً، هداية أو ضلالة، إفراطاً وتفريطاً أو وسطاً... هو المطلوب شرعاً وعقلاً، مهما كلفنا الوقت والعمل، قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ [غافر: ١١].

ولا نجد تصويرًا لأثَر الأسرة في تنشئة الطفل السليم أبلغَ في التعبير من قوله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨]، فما أشبهَ الأسرةَ بالأرض الخصبة الطيبة، التي تنبت أطفالاً ذوي طباع خيِّرة نقية، وسلوك نبيل، وما أشبه الأسرةَ المنهارةَ في أخلاقها وسلوكها بالأرض الخبيثة التي لا تنبت إلا نباتًا قليلاً حجمُه ونفعُه، فتخرج أطفالها بطباع قاسية وسلوك سيِّئ"(٢).

وقد كفانا الله بأنبيائه قدوةً لنا في حسن التربية لأبنائهم، وكمال رعايتهم بهم، ومدى حرصهم على تنشئتهم التنشئة الصالحة؛ بل والحرص على دينهم وإمامتهم وصلاحهم، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [غافر: ٣٥]، وفي موضع آخر: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨].

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن ص ١٦٦، مع التحفظ على لفظة الإجبار.

(٢) انظر: شادية التل، علم النفس التربوي في الإسلام، ص ١٠٦.

ولنتأمَّل مسيرة يعقوب بن إسحاق- عليهما السلام- وهو في سياق الموت، يجمع أولاده ليوصيهم: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

والله عز وجل ذكر لنا نماذج أخرى، منها قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا • وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤-٥٥]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]، وها هو الرجل الصالح لقمان عليه السلام يستخدم أسلوب الحوار الخاص مع ولده، ويحرص على توجيهه وتزكيته بوصايا تمثل منهاجاً شاملاً لكل أسرة: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، فعند ضعف الإيمان وهشاشة العقيدة وسيولة المرجعية تنتعش العواطف والمؤثرات، وتدفع إلى الانحراف والتطرف والإرهاب، ولو وجدت هذه المحصنات- من عقيدة سليمة راسخة، وإيمان ثابت عازم، ومرجعية واضحة جلية- لاستطاع الغارق في بيئة السوء الانتصار والخروج بأقل خسارة، إن لم يكن الخروج بغنيمة وسلامة؛ وهذا ما كان في امرأة فرعون؛ فقد عاشت بيئة السوء ذاتها، لكنها بتحصنها وسلامة العقيدة ووضوح المرجعية، استطاعت التغلب على ظروفها البيئية والخروج منها مؤمنةً ثابتة، وضرب القرآن حالها مثلاً يحتذى قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم: ١١]، بل إنّ يوسف عليه السلام نفسه قد تعرض لبيئات متعددة من دوافع الانحراف والفساد، كبيئة إخوة السوء، وقصر وترف، وامرأة بجاه وسلطان ومال، وسجن عتيم وظلم وجور، ونجا منها جميعاً، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

ثالثاً: وسائل الإعلام:

تمثل وسائل الإعلام التهديد الأخطر والأسرع لتوجهات الشباب وقيم مجتمعاتهم؛ لما لها من قدرات على مخاطبة هذه الفئة الخطيرة من المجتمع، بلغات خطاب يعجز عنها أساليب التربية التقليدية من مؤسسات المجتمع، ابتداء من الأسرة وانتهاءً بالمدرسة والجامعة. " الإعلام عملية اتصال يراد من ورائها بناء معارف المتلقين، أو الميل بهم نحو أهداف محددة، وتتوقف عملية الاتصال صلاحاً وفساداً، حقاً وباطلاً، هدىً وضلالاً، بحسب نوعية ما يتم إرساله من المعلومات، والقالب الذي تصاغ فيه الرسالة"[1].

ولنعترف بقدرة وسائل الإعلام على فهم لغة الشباب واحتياجاتهم، وعجز الأسرة بامتداداتها عن ذلك، خاصة مع وسائل الاتصال الحديثة بتعقيداتها وتشعباتها، حتى بات الشاب يدرك ما لا يدركه مربيه " فإنّ وسائل الإعلام لم تترك العديد من المؤسسات الاجتماعية على الحياد، فالنقد والقلق حيال التأثيرات التي أوجدتها السينما والرسوم المتحركة والصحافة الشعبية أوجدت انشغالات بدور الأسرة الضروري، حيث أصبحت تتنافس مع وسائل الإعلام من أجل كسب ولاء الأطفال بعد شيوع مقولة "إن الأولياء الجدد هم وسائل الإعلام"[2].

وتكمن خطورة الحالة أنّ وسائل الإعلام مرهونة ومحكومة بميول أصحابها وتوجهاتهم أخلاقياً وسياسياً واقتصادياً، فهذا الهدهد مع نبي الله سليمان عليه السلام، جاءه بخبر عظيم عن فساد قيميٍّ مستشر في مجتمع من المجتمعات، ولم ينقل له خبراً فاجراً وفكراً ساقطاً، ولم ينشر كذبةً أو فضيحةً مستورةً، بل جاء مراسلاً أميناً، ينقل آفةً فكرية؛ ناشداً صلاح حالها، واستدراك ما فات منها: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ • إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ • وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا

(١) عاطف رفاعي، صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية (ماليزيا).

(٢) السعيد معيزة :أثر وسائل الإعلام على القيم والسلوكيات لدى الشباب، ص ٣٦– ٣٩.

يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [غافر: ٢٢-٢٤]، (كأنهم كانوا يعبدونها!) ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾، (عبادة الشمس وغيرها من مقابح أعمالهم) ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ (عن سبيل الحق والصواب) ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [غافر: ٢٤][1].

والذي جاء به الهدهد نبأ عظيم، ومع هذا فقد رفض سليمان عليه السلام تصديق الهدهد قبل التثبت من صحة ما نقله؛ فلم يسارع سليمان بتصديقه، بل كان حاسماً وحازما في الرد عليه، وقال للهدهد: ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [غافر: ٢٧]، وقد تثبت سليمان ممن وثق به، فما بالك إن كان المخبر خارجاً عن المنهج، منحرفاً عن الجادّة، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

ولأهمية الإعلام في تأثيره في النفوس، فقد اتخذه العرب المشركون وسيلةً يَشْغَلُون به السامعين بوشوشات تحول دُونَ تَتَبُّعهم لما يُقال، كما حكى عنهم الله سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]، واتخذها أملاء[2] وأشراف أقوام الأنبياء وعليتهم وسيلةً للحيلولة دون استماع الناس للأنبياء؛ فينشرون للناس كلامهم ليصدوا الناس عنهم، قال الله: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦]، "فالإسلام أنجح قضية، لكن محاميه فاشلون، في حين أنّ "الدواعش"[3] يتبنون قضية باطلة ولكنهم يحسنون تسويقها والترويج لها، ويتفننون في ابتكار الأساليب التي تجذب الأطفال وتستقطب الشباب"[4].

(١) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ١٥٨/٤.

(٢) الذين يملؤون العيون أبهة والصّدور هيبة.

(٣) تنظيم الدولة الإسلامية أو الدولة الإسلامية، أو الدولة الإسلامية في العراق والشام، كان يسمى تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام الذي يُعرف اختصاراً بـ داعش، وهو تنظيم مسلّح يتبع فكر جماعات السلفية الجهادية، ويهدف أعضاؤه –حسب اعتقادهم– إلى إعادة "الخلافة الإسلامية وتطبيق الشريعة"، ويتواجد أفراده وينتشر نفوذه بشكل رئيسي في العراق وسوريا مع أنباء بوجوده في مناطق دول أخرى هي جنوب اليمن وليبيا وسيناء وأزواد والصومال وشمال شرق نيجيريا وباكستان. انظر: هشام الهاشمي، عالم داعش، تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، ص ١٤٠، دار الحكمة، لندن.

(٤) عصام هاشم، الفكر المتطرف وآليات المواجهة، الأهرام، ١٠ رجب ١٤٣٨هـ العدد ٤٧٦٠٤.

خامساً: القهر والاستبداد:

فمن وقعت عليه المظالم، وصَار أَمرُه إلى القهر، وتُسلّط عليه بالظّلم، وصار أمره عَسْفاً فلا تأمن عليه السكون؛ فإن سكنت جوارحه فقد بدأت بالانتفاض جوانحه؛ وسرعان ما يستسلم لثقافة الانتقام والأخْذ بالثأر، "والمجتمع الذي يمارس القمع والاضطهاد، ويفرض القيود الصارمة على الشباب، يجعلهم يشعرون بالظلم والقهر والضياع، نتيجة الإحساس بفقدان الحرية والمسؤولية والقيمة الاجتماعية. فيتحول الشاب إلى شخص عدواني مشاكس، يعمل على الانتقام لذاته وشخصيته المفقودة بالأساليب المنحرفة".(١) وما أصعب الشُعورِ بالانْتقام؛ فهو داع للشر والفوضى، وما كان لهذا الشر أن يتولد، لو عمتَ الطمَأنينَة والأمن وَانتشرت العدالة " وهو وباء فتاك تصاب به بعض الأمم في بعض مراحل تاريخها، وهو أسوأ أنواع الإدارة السياسية، وأكثرها خطراً على الإنسان، وتأخيراً للعمران، وتمزيقاً للأوطان. فمواطن الحكومات المستبدة يتميز غالباً بالسلبية المطلقة، والتشاؤم والقلق وعدم الاستقرار.. والمجتمع الذي يتحكم فيه الاستبداد هو مجتمع خامل، معطل، متراجع في كافة مرافق الحياة ووجوهها، يسوده التخلف، وتسيطر عليه الخرافة، وتنعدم فيه القيم وتموت فيه الفضيلة.."(٢).

وهو الجو الذي ساد حقبة فرعون بحكمه حين قال: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

والنموذج الفرعوني حيّ ويتكرر، وعلى مستوى الأسرة أيضاً، فهو الحل الأسهل ولا يحتاج لكبير علم أو تنوير؛ فإما القتل: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ [غافر: ٢٦]، أو السجن: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]، أو التشهير والاتهام بالباطل: ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِي لَأَظُنُّكَ

(١) مصطفى الصوفي، جنوح الشباب ومشكلات الانحراف، ٢٠٠٢/١٠/١٢، موقع مقالات إسلام ويب.

(٢) علي عبد الرضا، الاستبداد السياسي.. والديني، مجلة النبأ، العدد ٣٦، السنة الخامسة، ١٤٢٠ هـ.

يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ [يوسف: ١٠١]، " بل تعدى الأمر القهر أن يتحكم بقهره في طريقة تفكيرهم : ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، وحتى في اختيار دينه: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٣]، وكانت النتيجة تدمير الإرادة: ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ – أي: مسلكه ومنهجه وطريقته في الغيّ والضلال– وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٧]، أي: ليس فيه رشد ولا هدى، وإنما هو جهل وضلال، وكفر وعناد"[١].

ويقع أولياء أمور الطلاب في خطيئة التربية الغصبية الخضوعية، ويترك الطاعة القلبية الروحية؛ فهو لا يحسن تحبيب ولده للالتزام، بل هو عجول؛ يريد ولداً ملتزماً على عجل ومن غير تعب، ضارباً بعرض الحائط الحاجات الإنسانية لهذا الكائن الإنساني العجيب " الالتزام في بعض الأسر يمثل أوامر ونواهي وقواعد صارمة، وليس عاملاً أساسياً لبناء الشخصية القوية الملتزمة، التي لا تلين لعوامل الانحراف، فهؤلاء متدينون، لكنّ انحرافهم يوضح أنّ الدين لم يرتكز في نفوسهم حصناً منيعاً ضد عواصف الانحراف"[٢]. "فبعض الإرهابيين لديهم عقلية إجرامية، بينما ثقافتهم النفسية تنطلق من تحليل وتصنيف وتقسيم البشر إلى أخيار وأشرار، إلى قوى إلاهية وقوى شيطانية، دون وجود مساحات وسطى لرسائل الدماغية الإيجابية منها والسلبية .. بالتالي إذا أقنع الشخص نفسه أنه مظلوم ، فسوف يكون أكثر إحساسا بالظلم، فيصبح كقنبلة موقوتة ، تبحث عن من يحتضنها لا محال لها من الانفجار في أي لحظة"[٣].

(١) تفسير بن كثير، ٤/ ٣٤٨.

(٢) مريم الجابر، انحراف الشباب.. القدوة غائبة ورفقاء السوء بالمرصاد!، تحقيق ــ جريدة الرياض، الأربعاء ٥ جمادى الاخرة ١٤٣١هـ – ١٩ مايو ٢٠١٠م – العدد ١٥٣٠٤.

(٣) انظر: د. عبد الكريم عتوك، خبير علوم الإجرام ومكافحة الإرهاب، مقال فنون اختراق عقل الإرهابي وايدلوجية العنف. المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات سبتمبر ١٩، ٢٠١٧.

سادساً: بيئات التوتر والصراع:

عالج الكثير من علماء الجريمة موضوع الحي والبيئة المتوترة، وأبرزوا علاقتها بالانحراف، وقامت غالبية هذه الدراسات على افتراض أساس يقول: إن الجنوح أو السلوك الإجرامي هما حصيلة تفاعل طويل، يحدث بين الفرد وبين ظروف بيئته من جهة، وبين الفرد وبين أفراد جماعته الأوَّلية التي يتعامل معها، أو التي يتصل بها من خلال حياة الجماعة والبيئة من حوله. فقد أظهر (كليفوروشو)[1]، في إحدى دراساته التي تناولت خمسة إخوة أشقاء، عرفوا بتاريخهم الإجرامي الطويل، كيف يلعب الحي دورًا كبيراً في الجنوح أو الجريمة، ووصف (شو) هذا الحي بأنه كان منطقة جنوح شجَّعت هؤلاء الإخوة على ارتكاب الجريمة؛ بل إنّ تلك البيئة كانت تحترم المجرم، وتضفي عليه طابع الرجولة والبطولة في أحيان كثيرة... إذ إنّ مناطق الجذب والإثارة والمغريات في البيئة تُعْتَبر عاملاً مهمًّا من عوامل الانحراف[2].

فالأمنُ ضرورة إنسانيَّةٌ، وغاية لا مَدْفَعَ لها، ولا يستهين بها عاقل، وهي نعمة منّ الله بها علينا، وأمرنا بشكرها والحفاظ عليها، قال الله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦].

والأمنُ نعمةٌ جليلةٌ، وزوالُه نقمةٌ كبيرةٌ، لذلك حرص القرآن على توفير بيئات الأمن، ومحاربة كل بيئة من شأنها إنتاج وتصدير الإرهاب والانحراف؛ فحين تتعكر العلاقة بين طائفتين من المؤمنين أمرنا الله بالمسارعة لفك النزاع والضرب على يد المعتدي، وكفه عن الاعتداء؛ حتى لا تتولد

(١) صاحب دراسة: النظرية البيئية، بحيث تكون هي المسؤولة عن الجريمة بها، المهندس يونس، موقع ستار تايمز، ١٦/٠٤/٢٠١٢.

(٢) لتفصيل ذلك انظر: مديحة أبو زيد، مقالة في الألوكة بعنوان: أسباب الانحراف، ١٤٣١/١٠/٢٨هـ.

من رحم الاقتتال فتنٌ وإحنٌ وانحراف، فبيئة كهذه تمثل الهرمون الذي ينظم هذا الانحراف والعنف، قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]، وفي سورة الروم وفي قمة الصراع، والحديث في بداية السورة عن غلبة الروم على الفرس، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]، وكأنّ الله يندبنا، بل ويأمرنا أن نحقق الأمن والهناء، وبدايات هذا الأمن والهناء هو بالأسرة بطمأنينتها ورحمتها، فليُحرصْ على إخماد فتن الحروب، وليُحرصْ على إبقاء جذوة الأسرة الضامنة لأهم إنتاج إنساني، فيه نفخة من روح الله وهو الإنسان، قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩]، "ولأنّ الأسرة أهم خلية في المجتمع، فإن آثار الحروب والنزاعات المسلحة عادة ما تكون خطيرة العواقب عليها، ولعل أبرزها ظاهرة التفكك الأسري، التي تظهر بعد الحروب، والتاريخ شاهد على ذلك، من خلال الكتابات والمؤلفات التي نقلت إلينا الكيفية التي انهارت بها المجتمعات، بعد انهيار أوعيتها الاجتماعية، وعلى رأسها الأسرة"(١). "أما الآثار النفسية للنزاعات المسلحة علي الطفل، فتكمن في فقدان المقومات الأساسية لعيشه في مجتمعه، في ظروف تضمن له التوافق النفسي، ومستوى الصحة النفسية المطلوبة؛ وذلك بسبب التهديد أو القتل، وفقدان معالم الحياة الاجتماعية، التي يتشبث بها الإنسان"(٢).

لذلك كانت أعظم مهمات ذي القرنين إنهاء الصراع والتوتر القائم، وإحلال السلام والطمأنينة بدل القَلَق والاضْطراب، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا • إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

(١) د. محمد الوغليسي، أثر النزاعات المسلحة والحروب في تفكك الأسر العربية، موقع نوافذ، ٢٠/٨/ ١٤٣٧.

(٢) سعاد سوارص، النزاعات: آثارها على حقوق الإنسان ومنهج الإسلام في معالجتها، ٢٨.

سَبَبًا • فَأَتْبَعَ سَبَبًا • حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا • قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾ [الكهف: ٨٣-٨٧].

المبحث الثاني

مقاصد وأغراض القصة القرآنية وأثرها في الحماية الفكرية

كلمة «مقصد» (ق ص د)، هي الاعتزام والتوجه والنهوض نحو الشيء[١]، "والقاف والصاد والدال أصولٌ ثلاثة، يدلُّ أحدها على إتيان شيء وأمِّه... فالأصل: قصَدته قَصْداً ومَقْصَداً. ومن الباب: أقْصَدَه السَّهمُ، إذا أصابه فقُتِل مَكانَه"[٢] فمقصد الكلام أن يتوجه الكلام واللفظ إلى معنىً معين أو غاية يريدها المتكلم[٣] وعرفها الدكتور الحامدي بأنها: " الغايات التي أنزل القرآن لأجلها، تحقيقاً لمصالح البلاد"[٤] فالقرآن متوجه القصد واضح الغايات، نزل ليحقق غايات وأغراضاً فيها سعادة الإنسان دنيا وأخرى.

والغَرَضُ: هو الحاجة والبغية من الشيء، كان هذا الشيء كلاماً أو فعلاً، ويتأكد الغرض من أصحاب القول الجاد والفعل الهادف: "الغرض الهدف الذي يرمى إليه، والبغية والحاجة والقصد، يقال: فهمت غرضك؛ قصدك"[٥]، والحكماء لا يتكلمون إلا لمقاصد، وكل كلامهم مغيّاً بغاية وهدف، فما بالكم برب العالمين، رب الحكماء وأحكم الحاكمين سبحانه، قال الله عز وجلّ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ • أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [سورة ص: ٦٧-٦٨].

(١) ابن منظور، لسان العرب، قصد، ٣/ ٣٥٣.
(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٥/ ٩٦.
(٣) الريسوني، نظرية المقاصد، ص ١٩.
(٤) الحامدي، مقاصد القرآن، ص ٢٩.
(٥) المعجم الوسيط، ص٦٥٠.

ومقاصد القرآن كثيرة جداً، لا تحصر ولا تجمع، وهي تختلف وتتغير بحسب كل مجتهد واجتهاده، وكل ناظر وما نظر؛ فهناك مقاصد كلية تمثل أمهات المقاصد، وهناك دروس تفصيلية، وما يفتح للناظر فهو نعمة وهبة ربانية. ومقام هذه الدراسة يبعث على الإيجاز غير المخل، وندع التفصيل للمطولات من الكتب والدراسات، واللبيب تكفيه الإشارة.

ويكتفي الباحث بدراسة أهم ما يراه من هذه المقاصد في تصحيح عقيدة المسلم، والعمل على تثبيته في دينه، وتقومه وتمنعه من الانحراف.

المطلب الأول

إحياء وظيفة الروح/ تثبيت دعائم الإيمان

ويمثل هذا المقصد – في نظر الباحث- أصل مقاصد القرآن كله؛ والقصص القرآني جزء من هذا: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]، وأول قوافل الثابتين هو الرسول محمد ﷺ؛ فإذا ثبت القائد والرمز ثبتت الأمة من بعده؛ هب أنّ النبيّ تنازل- وحاشاه – لتجدنّ النكوص سيد الموقف، والتنازل سمة المرحلة.

إنّ للإيمان دوراً راسخاً في استقرار الحياة وتوازن العلاقات بين الناس، وهو لبنة بناء الأمم والأفراد. والمغامرة والإخلال به لهما عواقب وخيمة، لا تحمد عقباها، على الصعيد الشخصي والمجتمعي، بل العالمي؛ فالإيمان روح تتصل بالعالم الغيبي، تهذب النفس وتضبط العاطفة وتصحح المسار. لذلك أولت القصة القرآنية للإيمان اهتماماً ملحوظاً، وجعلت منه أم الأغراض وسيد الغايات.

جاء في أَوّل سورة يوسف: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣]، وفي نهاية السورة قال الله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي

بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

وجاء في سورة القَصَص قبل عرض قصّة موسى : ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٣]، وفي خواتيمها قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ • وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [القصص: ٤٤-٤٥].

وجاء في سورة آل عمران في مبدأ عَرضه لقصّة مريم : ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

وفي سورة (ص) قبل قصّة آدم قال الله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ • أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ • مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ • إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ • إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ [سورة ص: ٦٧-٧١].

وما كان هذا الحشد من الآيات إلا لتلازم الإيمان مع العيش الهنيء، والأمن النفسي والمجتمعي قال الله عز وجلّ: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ • الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨١-٨٢]، "هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحاً... بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة، والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت"(١). " والطيب: ما يطيب ويحسن. وضد الطيب: الخبيث والسيء. وهذا وعد بخيرات الدنيا "(٢) فالإيمان بالله يقوّم قلوب وعقول ونفوس المؤمنين، فلا يفكرون إلا صالحاً، ولا يتدبرون إلا ناجحاً.

والإيمان بالملائكة يورث الإنسان الاستقامة على أمر الله؛ حين يعلم بأنّ هناك من يدون ويسجل كل تصرفاته وأعماله، فيحرص على سلامة سجله

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: (٤/ ٦٠١).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير:(١٣/ ٢٢٠).

مما يشين ويدين؛ فيثمر ذلك تصحيح العمل والأوبة إلى الله تعالى؛ مما يورث الأمن والسكينة النفسية للإنسان، قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق: ١٧-١٨]، فالوازع الديني للشخص هو الواقي بإذن الله من الانحراف ومن الوقوع في الجريمة وإن غالباً، بل إنّ النسبة الكبيرة من القضايا التي تنتظر في المحاكم[١] بأن مرتكبيها ليس لديهم وازع ديني ولا تمسك بالدين، هذا في القضايا الجنائية وليس في قضايا الإرهاب والتطرف. فالإيمان بالله هو عمود فقري لكافة ألوان الحياة، فمن لا عقيدة له لا استقامة له ولا وازع يردعه عن ارتكاب أي جريمة، سواء عوقب عليها بحد مقدر أم بتعزير غير مقدر.. والايمان بالله رقيب على كل عامل في أي مجال صناعي أو زراعي أو تعليمي أو وظيفي أو عسكري.

ويأتي بعد الايمان بالله دَوْر العبادة .. فالصلاة لها دور وقائي من العنف والجريمة، لقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿تْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، "التركيز على أن عقيدة التوحيد هي جوهر الإسلام، وأنّ الوازع الديني عامل أساسي في منع أسباب الانحراف؛ لأنه يحرر الإنسان من الرغبات والمطامع والأهواء"[٢][٣] " لقد سجل التاريخ هذه العلاقة المتلازمة القائمة بين العامل العقائدي وبين تطور المجتمعات سلباً وإيجاباً، وتاريخ المجتمعات الإسلامية بالذات خير شاهد على ذلك. كما أبرز ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية؛ لقد وجد ابن تيمية أنّ هناك علاقة طردية بين صفاء العقيدة وتقدم المجتمعات وبالعكس؛ فكلما كانت العقيدة صافية كلما تحقق وساد الاستقرار السياسي والأمن الاجتماعي وازداد المجتمع قوةً وتفوقاً، وبقدر ما تضطرب العقيدة بقدر ما تسير المجتمعات نحو الاضطراب، سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، فقال رحمه الله: " فإنه إذا ظهرت البدع التي تخالف دين الرسل انتقم الله ممن خالف

(١) وليس عند الباحث إحصائية، ولكن الواقع يشهد، والقضاة كذلك.

(٢) د. توفيق وهبة ، التدابير الزجرية والوقائية في التشريع الإسلامي، ص١٣٤.

(٣) الأستاذ سعد الشهراني موقع الإسلام http://www.al-islam.com.

الرسل وانتصر لهم"[1].

وقد ساق القصصُ القرآني معانيَ وكليات؛ من شأنها رفع منسوب الإيمان واليقين، تحفظ المتدبر لها من الانحراف والتطرف والزلل والإفراط والتفريط.

المطلب الثاني
إحياء وظيفة العقل

يحتفي القرآن الكريم بمكانة التفكير السليم، والنظر الصحيح في الكون؛ ليكون بوابة كبيرة من بوابات الإيمان بالله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ • الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]، وجعل الله أحد أهم وسائل التطور الفكري والتفوق الإيماني هو استخدام قوة العقل في الوصول إلى الله، فندب إلى إعمال العقل في قصص من سبق؛ ليتبين لهم الحق، قال الله عز وعلا: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ [طه: ١٢٨]، "يعني: لأهل الحجى والعقول، ومن ينهاه عقله وفهمه ودينه عن مواقعة ما يضره"[2]. ومن هنا فقد ثرّب[3] القرآن على من سلّم عقله لغيره ولم يتفكر، وشبهه بدواب الأرض، فهي لا تعقل، قال الله جل وعز: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢]، "سماهم دوابّ لقلة انتفاعهم بعقولهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩][4].

ويحث القرآن الناس على إعمال العقل ليصل بهم- بلا خوف- إلى الحقيقة، ويعلموا أنّ الله هو الحق، وأن ما دونه هو الباطل، قال الله عز وجل:

(١) د. مُساعِدُ الطَّيَّار، شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، ٢٤٨.
(٢) ابن جرير الطبري، جامع البيان، ٣٩٨/١٣.
(٣) أي: لام ووبخ وعيّر.
(٤) البغوي، معالم التنزيل، ٣٤٣/٣.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: ٦].

وقد كان من غايات القصة القرآنية هو التفكر والتدبر، قال الله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، فكانت القصة القرآنية وسيلة من وسائل الحفظ من الانحراف والوقاية من الضلال، قال أبو السعود رحمه الله: " لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون.. فيقفون على جلية الحال وينزجرون عما هم عليه من الكفر والضلال ... أي فاقصُص القصص راجياً لتفكرهم أي أو رجاءً لتفكرهم"[(١)]. فقبل عرض موجز لبعض قصص السابقين، قدّم الله لعظم وظيفة العقل في التحصن والتمنع من الخطيئة، فقال الله: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥]، "أي: لذي عقل ولب وحجا؛ وإنما سمي العقل حجْرًا لأنه يمنع الإنسان من تعاطي ما لا يليق به من الأفعال والأقوال"[(٢)] ثم عرج على الأقوام الذين لم يحجرهم عقلهم عن الرذائل والشرور وبدأ بأعظمهم : ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ • أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ • إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ • الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ • وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ • وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ • الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ • فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ • فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ • إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ٥-١٤].

وتتولد لدى الباحث قناعةً قوية راسخة: أنّ مواجهة الانحراف والتكفير والتطرف بالحلول الأمنية والعسكرية فقط، مآله فاشل وعواقبه وخيمة وخيوطه لا تنتهي؛ وأنّ التصدي لهذه الأفكار لا يكون إلا بمعالجة أصولها وجذورها، لا بمظاهرها وذيولها؛ ذلك بتفهم العقلية المنحرفة، ودوافع هذا الانحراف والتطرف؛ وذلك بحشد خبراء وعلماء وتربويين، ونشطاء أمنيين، بوضع خطط عمل وتشغيل، للقضاء على هذا السلوك العقلي ومكافحته.

(١) أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٣ ،٢٩٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨، ٣٩٤.

لقد أكدت الدراسات الحديثة أنّ المتطرفين والمتعصبين دينيًا لهم خصائص وسمات تميزهم عن غيرهم؛ إذ إنّ المتطرفين لا يسمحون للآخرين بإبداء آرائهم، كما أنهم يتميزون بالعنف في التعامل، والخشونة والغلظة في الدعوة، بالإضافة إلى النظرة التشاؤمية، والتقليل من أعمال الآخرين والاستهتار بها، والاندفاع وعدم القدرة على ضبط النفس، كما أنّ المتعصبين والمتطرفين دينيًا غالبًا ما يتميزون بحداثة السن، وقلة العلم، والفشل في الحياة[1].

ومن وجهة نظر علم النفس والتشخيص النفسي هناك نوع من الاضطرابات لدى بعض الإرهابيين على المستويات العقلية؛ لكونه منغلقاً جامداً في التفكير، ولا يتقبل الأفكار التي تختلف مع تفكيره، والانفعالية؛ تجده كثير الغضب والعصبية والتطرف في المشاعر السلبية المتضمنة للكراهية، والسلوكية؛ فتجده كثير الاندفاع والعدوانية؛ نتيجة الإصابة بورم إلى جانب وجود تشوه في الأوعية الدموية في الفص الدماغي، وهو الجزء الأولي الأصغر في الدماغ، والمسؤول عن التحكم في العواطف وتحفيز الدماغ على القتل وسفك الدماء، لذا فهم ليسوا مرضى عقليين لأنهم يدركون أفعالهم، والقدرة على التحكم في إرادتهم، فيقتلون وهم في كامل وعيهم وقناعاتهم؛ بل وتجدهم يعانون من أمراض اجتماعية ، ولا يبدون أي نوع من الندم أو تأنيب الضمير؛ يفجر نفسه وهو منتش، يعيش حالة نفسية من التبجح والهذيان[2].

(١) عبد الحميد رشوان، الإرهاب والتطرف من منظور علم الاجتماع، ١٢٣ .

(٢) انظر للتفصيل: د. عبد الكريم عتوك، مستشار أمني، خبير علوم الإجرام ومكافحة الإرهاب، مقال فنون اختراق عقل الإرهابي وأيدلوجية العنف، بالمركز الاوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات – بون / المانيا، ٢٠١٧/٩/١٩م.

النتائج والتوصيات

وبعد هذه الجولة في رحاب القرآن تبيّن للباحث شمول القرآن لحلول مشكلات الإنسان، في كل نواحي حياته ومعاشه، وأنّ شقاء البشرية ناجم عن إعراضها عن منهج خالقها تدبراً وعملاً، ومن أهم مشكلات العصر الراهن مشكلة الشباب، والتحكم بطاقاتهم وإمكاناتهم النفسية والبدنية، وقد أنعم الله علينا بتشخيص وعلاج لهذه المشكلة الكبيرة والجسيمة؛ فهو الخالق وهو القيوم على خلقهً المصلح كشؤونهم.

وقد ذكر الباحث أهم مشكلات الشباب التي يراها من أولويات المشكلات التي أرّقت مضاجع المجتمعات اجتماعياً واقتصادياً وأمنياً، وظهر للباحث أن أهم أسباب الانحراف ترجع لأسباب متجذرة في مجتمعاتنا ومؤسساتنا الداخلية، وأسباب فرضت علينا خارجة عن نطاق المؤسسات؛ وأنّ ثقافة اليأس والإحباط أكبر محضن للتطرف والانحراف، ودور مؤسسات الدولة والمجتمع ابتداء من الأسرة إلى أرقى المسؤوليات محاربة هذه المشاعر السوداء الغالبة الخانقة، ومن محاضن التطرف والانحراف أيضاً التسرع والتعميم والتقليد والتعصب؛ كلها أسباب تربوية نحن مسؤولون عنها وعن محاربتها كما نحارب البكتيريا الضارة في الهواء.

وبين الباحث أنّ بيئة التطرف والحروب وثقافة القهر والاستبداد وسوء التنشئة قد رعت هذا الانحراف والتطرف وغذت جذوره وأغصانه، فاستحال الشباب ضحية مجتمعاتهم ووقوداً يحرقها.

ثم بيّن الباحث أهم الحلول القرآنية لها، وهي العلاج بالإيمان، ومعرفة الله، والارتباط بالقرآن فهماً وعملاً؛ بإحياء وظيفة الروح والعقل معاً؛ حتى يتم التوازن والتعادل، فلا يقع الشباب في الارتباك والحيرة، ومنها إلى التطرف والانحراف.

ولا يدّعي الباحث الكمال، بل هي لمعةٌ وشعلة، تومض وتوقد مصباحاً للفهم، وتمهد الطريق للباحثين بالاستمرار والتواصل في زيادة البقعة الضوئية على مشكلة الشباب ومنع الانحراف عنهم.

ومن هنا فيوصي الباحث بتسليط الضوء أكثر واستبطان مكمن مشكلات الشباب ودوافع الانحراف فيهم، واستنباط العافية منها، ليبرأ المجتمع من شبهات أودت بنخبهم، وقد كانت لهم فرص للنفع في مجتمعاتهم، لو وجدوا الحضن الموجه، والكنف الرحيم.

وفي النهاية أسأل الله أن يجعل عملي هذا وسيلة أتقرب بها إلى الله، يغفر به ذنبي وييسر به أمري .. والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

١. أثر النزاعات المسلحة والحروب في تفكك الأسر العربية، د. محمد الوغليسي، موقع نوافذ، الجمعة ٢٠ شعبان ١٤٣٧.

٢. أثر وسائل الإعلام على القيم والسلوكيات لدى الشباب، السعيد معيزة، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، ٢٠٠٥.

٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤. الإرهاب والتطرف من منظور علم الاجتماع، عبد الحميد رشوان، دار المعرفة، الإسكندرية، ١٩٩٩.

٥. أسباب الانحراف، مديحة أبو زيد، مقالة في الألوكة ٢٨ / ١٠ / ١٤٣١هـ.

٦. الاستبداد السياسي.. والديني، علي عبد الرضا، مجلة النبأ، العدد ٣٦، السنة الخامسة، جمادى الاولى ١٤٢٠هـ.

٧. الاستقامة، بن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد رشاد سالم جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة،ط١، ١٤٠٣.
٨. الاضطرابات النفسية وعلاجها في القرآن الكريم، رحيل بهيج، شبكة الألوكة.
٩. انحراف الشباب.. القدوة غائبة ورفقاء السوء بالمرصاد!، تحقيق ـ مريم الجابر ، جريدة الرياض، الأربعاء ٥ جمادى الاخرة ١٤٣١هـ العدد ١٥٣٠٤.
١٠. الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، الكويت: الأمانة العامة، ٢٠٠٥م.
١١. أنوار التنزيل وأسرار التنزيل، ناصر الدين أبو سعيد البيضاوي، تحقيق محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.
١٢. البطالة في العالم العربي وعلاقتها بالجريمة، عاطف عبد الفتاح عجوة ، الرياض، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، ١٩٨٦.
١٣. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، أبو الفيض الملقّب بمرتضى ، الزَّبيدي تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية.
١٤. التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
١٥. التدابير الزجرية والوقائية في التشريع الإسلامي د. توفيق وهبة، دار اللواء للنشر، الرياض، ط١، ١٩٨١.
١٦. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط٢ ١٤٢٠هـ .

١٧. تفسير القشيري، عبد الكريم بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٢.
١٨. تفسير روح البيان، إسماعيل حقي، دار الفكر - بيروت.
١٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م،
٢٠. جامع البيان، ابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.
٢١. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
٢٢. جريدة الشرق الأوسط، الجمعة ١٣ محرم ١٤٢٥ هـ، العدد ٩٢٢٩.
٢٣. جنوح الشباب ومشكلات الانحراف، ١٢ / ١٠ / ٢٠٠٢، مصطفى الصوفي، موقع مقالات إسلام ويب http://articles.islamweb.net
٢٤. دور التربية في علاج مشكلة التطرف بين الشباب أحمد حسانين، ، مجلة كلية التربية، جامعة أسيوط، العدد الثامن، ١٩٩٢.
٢٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي ، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.
٢٦. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن الجوزي تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
٢٧. سيكولوجية الاتصال الإنساني ومهاراته، سناء محمد سليمان، المنهل، . ٢٠١٤.
٢٨. شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، د. مُساعِدُ الطَّيَّار، دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٨ هـ.

٢٩. صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم، عاطف رفاعي، رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية (ماليزيا)، ٤٣٢ هـ .
٣٠. ظاهرة التطرف: الأسباب والعلاج، محمود بيومي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٦.
٣١. عالم داعش ، تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، هشام الهاشمي، دار الحكمة ، لندن.
٣٢. علم النفس وخبايا الإرهابي، د. عبد الكريم عتوك، المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات ، http://www.europarabct.com سبتمبر ١٩، ٢٠١٧
٣٣. الفكر المتطرف وآليات المواجهة، الأهرام، ١٠ رجب ١٤٣٨هـ ٧، العدد ٤٧٦٠٤.
٣٤. لسان العرب،: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت،ط١.
٣٥. المثقفون والإرهاب، حسن علام، ، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢.
٣٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد بن عطية الأندلسي تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ - ١٤٢٢ هـ .
٣٧. معالم التنزيل، محيي السنة ، أبو محمد البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط٤ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
٣٨. المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة ، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

٣٩. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ .
٤٠. مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ، ط ١.
٤١. النزاعات: آثارها على حقوق الإنسان ومنهج الإسلام في معالجتها، ٢٨ تموز / يوليو ٢٠١٣، سعاد سوار، صحيفة القوات المسلحة السودانية.